دراسة عن المنسوجات

المنسوجات القبطية

تعتبر المنسوجات القبطية من أكثر الذخائر الأثرية الباقية لدينا والمنتشرة في معظم المتاحف المصرية والعالمية، فقد لا يخلو متحف من الاحتفاظ بمجموعة كبيرة أو صغيرة من تلك المنسوجات القبطية، وإذا كان فن النحت والتصوير فد ساهما في تكوين ملامح الفن القبطي عمومًا، وعبرا عن ذاتية الشعب المصري، فإن فن الزخارف النسيجية وصناعة النسيج قد أدت الدورالأكبر في انتشار وتثبيت أوتار الفن القبطي في مراحله المختلفة.

والنسيج فن له خصائصه الفنية والصناعية المميزة والتي مارسها المصريون القدماء منذ العصور الأولى بمرحلة أولية ، ثم تطور كصناعة محلية منذ العصرين اليوناني الروماني في مصر، حتى إن المؤرخين الإغريق والرومان قد أشادوا بتلك الصناعة في مصر وتفوق المصريين فيها ، وهو الأمر الذي يؤكد على إنها صناعة متوارثة وراسخة في المجتمع المصري.

إلا أن هذهالصناعة شهدت ازدهارًا كبيرًا منذ دخول المسيحية مصر، ويبدو أن الاحتلال الروماني جعل المصريين يهتمون بتلك الصناعة اليدوية وزخارفها لتشهد المزيد من التطور في الخامات الصناعية المستخدمة مثل الكتان والصوف والحرير، وأسلوب الزخرفة، والألوان المستخدمة، وفد عرف كل هذا بالمنسوج القبطي في مصر خلال الفترة ما بين القرن الثالث الميلادي وحتى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

ومنذ القرن الخامس الميلادي تقريبًا أصبح للمنسوج القبطي شهرة عالمية فاقت كل التصورات آنذاك، غير أن هذا الفن لم يحظ باهتمام كبير من جانب علماء الآثار بقدر اهتمامهم بالمنقولات الأثرية الأخرى، ويرجع ذلك إلى أن تلك المنسوجات أصبحت في وقت ما غنائم سلبت أثناء الحفائر الأثرية وغير الأثرية

وبصفة خاصة في المقابر المقامة على مشارف المدن الصناعية الكبرى للنسيج في العصرين القبطي والإسلامي ، مثل الإسكندرية والفيوم وأسيوط وأخميم وأنتينوي وأرسيني وأوكسيرينخوس وهرموبوليس ماجنا وتاتيس وأشمون وغيرها من تلك المناطق ، وقد أدى هذا السلب إلى الإتجار بتلك القطع بعد تقسيمها إلى قطع صغيرة تفقد في النهاية أي أثر ينم عن نشأتها وتضع الباحثين أمام صعوبات عديدة خاصة عند تحديد مركز الصناعة وتحديد تأريخ مناسب للقطعة.

ولكن لم يحن الوقت بعد للوصول إلى تأريخ دقيق ومحدد لإنتاج أي نسيج، فالأزمنة التاريخية للنسيج القبطي سواء الذي يرجع إلى الفترة المسيحية أو العصر الإسلامي المبكر لا تزال تتراوح ما بين قرنين أو ثلاثة قرون لتاريخ القطعة الواحدة، وقد يرجع ذلك لعدم توافر الإختبارات المعملية الأكثر دقة ، فضلاً عن إفتقارنا إلى عملية التسجيل الدقيق المنظم للحفائر الأثرية وبصفة خاصة قطع النسيج المكتشفة بها، فعلى سبيل المثال، نجد عدم تسجيل مصدر القطع أو مكان العثور عليها أو تسجيل ما يواكب اكتشاف القطعة من مقتنيات أثرية تفيد في تأريخها ، كذلك نزع العملات أو الإشارات المعدنيةأو الخرزية المعلقة بالثياب والتي تحمل دليلاً يفيد في عملية التأريخ.

بالإضافة إلى إحتفاظ بعض الأثريين والأثرياء الأجانب بمعظم القطع المكتشفة والإتجاربها فيما بعد، مما يفقد القطعة أهميتها التاريخية والأثرية فضلاً عن أنه فد جرت العادة ألا يكتب على المنسوج القبطينصوصًا تشيرإلى تواريخ أو أماكن الصنع المتداول وذلك بالمقارنة بالمنسوج الإسلامي الذي ساعد الأثريين كثيرًا في تحديد التاريخ والطراز الخاص به في مصر آنذاك، لذا فإن عملية التأريخ للمنسوجات القبطية حاليًا تعتمد على أساس من الدراسة المقارنة التفصيلية، وملاحظة التطابقات في الأسلوب والطرق الفنية والصناعية المستخدمة مع مقارنتها بقطع أخرى أو مقارنة زخارفها بزخارف نحتية أو رسومات جدارية تحمل نفس الأسلوب الفني، وهو المنهج الذي سار عليه معظم علماء الآثار المهتمين بدراسة المنسوجات القبطية والإسلامية المبكرة في مصر

تقسيم الألياف المستخدمة في صناعة المنسوجات

1- ألياف طبيعية Natural fibres

2- ألياف صناعية Man_made fibres

أولا: الألياف الطبيعية Natural fibres

الألياف الطبيعية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع رئيسية

1- الألياف النباتية vegetable fibres

وهي التي ترجع لأصل نباتي والتي تتكون بشكل أساسي من السيلولوز cellulose ويمكن تقسيم الألياف السيلولوزية إلى ثلاثة أنواع رئيسية

- ألياف لحائية : bast fibres مثل الكتان (flax linen ، الجوت jute ، القنب hemp)
- ألياف ورقية : leaf fibres مثل السيزال sisal
- ألياف بذرية : seed fibres مثل القطن Cotton

2- الألياف الحيوانية Animal protein fibres
وهي التي ترجع إلى أصل حيواني والمادة الأساسية المكونة للألياف فيها هي البروتين ومن أمثلتها الصوف wool وشعر الجمال camel hair والموهير mohair والكشمير cashmere والحرير silk والذي يؤخذ من دودة القز.

3- الشعيرات المعدنية Mineral fibres
وهذه المجموعة محدودة الأهمية في صناعة الغزل والنسيج ويعتبر الأسبستوس أهم هذه المجموعة حيث يستخرج من بعض الصخور الطبيعية التي تأخذ فيها البلورات شكل الألياف ويمتاز الأسبستوس asbetos بأنة مقاوم للحرارة والإشتعال.

ثانيا: الألياف الصناعية Man_made fibres

ويمكن تقسيمها إلى الأنواع التالية
1- الألياف الصناعية التحويلية regenerated fibres (modified natural fibres)
وهي التي تقدم فيها الطبيعة للإنسان المادة الخام التي يشكلها في صورة شعيرات مثل مادة السيلولوز في لب الشجر ومادة البروتين في اللبن وفول الصويا ومن أمثلة الألياف أو الشعيرات التحويلية من أصل سيلولوزي الحرير الصناعي viscose ومن أمثلة الألياف أو الشعيرات التحويلية من أصل بروتيني الصوف الصناعي.

2- الألياف الصناعية التركيبية synthetic fibres (polymers Synthetic)
وهي المجموعة التي صنعها الإنسان بأكملها فهو الذي صنع المادة الخام المكونة لها من أحماض كيماوية بترولية petrochemical وشكلها لتأخذ شكل شعيرات مشابهة للشعيرات الطبيعية ومن هذا النوع شعيرات النايلون (البولي أميد bolamide nylon) والبولي إستر polyester والتريلين والاورلون والأكريلان ...الخ.

الخواص العامة المطلوبة في الشعيرات النسيجية

هناك عوامل مختلفة تدخل في التأثير على خواص الخامة المستخدمة مثل طريقة الغزل والأسلوب المستخدم في تركيب القماش الناتج وأخيرًا طريقة التجهيز، بالرغم من أن هذه العوامل يمكن بواستطها تعديل بعض خواص القماش إلا أن خواص الخامة غالبًا ما يكون لها التأثير الأقوى، وتختلف الخواص من خامة لأخرى.

إلا أن هناك خواص لابد من توافرها في الخامة لكي تصلح لعمليات الغزل والنسيج ، وأهم هذه الصفات ما يلي:

طول الشعيرات: وهي التي يعتمد عليها في مراحل الغزل حتى يمكن للشعيرات أن تتماسك مع بعضها لتكوين الخيط ، ويمكن أن يكون الطول عير محدد والتي يطلق عليها الشعيرات المستمرة.

المتانة: وهي تساعد الشعيرات على تحمل الشد والضغط الذي تتعرض له أثناء عمليات الغزل والنسيج ولكي تعطي النسيج الناتج المتانة المطلوبة.

الدقة والنعومة: تختلف نعومة الشعيرات من خامة لأخرى فمثلا شعيرات الحرير الطبيعي رفيعة جدًا وتعطي أقمشة ناعمة رقيقة بعكس الخامات الأخرى مثل الصوف.

الإستطالة: وهي قابلية الشعيرات للإستطالة إذا ما تعرضت لقوى شد وبالتالي القابلية للتشكيل في حالة إستعمالها في الملابس وهذا يمكن ملاحظته في الأجزاء المعرضة للشد والثني خاصة عند الركب والأكواع ، وهذا بالتالي يساعد على مقاومة الاستهلاك.

المرونة: وبفضل هذه الخاصية تستعيد الخامة شكلها الأصلي بعد زوال المؤثر الذي أثر عليها، لذلك فإن هذه الخاصية تؤثر على خواص الأقمشة ومظهرها.

كثافة الشعيرات: وتؤثر هذه الخاصية على قوام المنسوج والإنسدال drapability فإذا كانت الشعيرات خفيفة جدًا فإن الأقمشة الناتجة لا تنسدل جيدًا ويكون مظهرها غير مقبول بعكس إذا ما كانت الشعيرات ثقيلة.

التجعدات: تؤثر هذه الخاصية على قوة التماسك بين الشعيرات في الخيط كما تؤثرعلى درجة المسامية.

إمتصاص الرطوبة: وهي الخاصية التي تجعل الملابس مريحة خاصة في فصل الصيف وذلك لامتصاص العرق، أما الشعيرات التي لا تمتص الرطوبة فإن الأقمشة المصنوعة منها تجعل

الجسم مبتل بالعرق وتصبح غير مريحة مثل النايلون والتريلين وغيرهما من الخامات التي تسبب حساسية بالجسم، وتؤثر هذه الخاصية على سهولة إمتصاص مواد الصباغة.

المصدر

يونس الشلوي، دراسة عن المنسوجات، 2009.

http://younis71.maktoobblog.com/1043/%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A9%D8%B9%D9%86%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B3%D9%88%D8%AC%D8%A7%D8%AA

عزت زكي حامد، الآثار والفنون القبطية رئيس قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية / كلية الآداب جامعة الإسكندرية

محمد عبد الفتاح، كلية الآداب جامعة الإسكندرية صـ 184 ، 185.

سامي احمد عبد الحليم، المنسوجات الأثريه القبطية والإسلامية محفوظة في متحف أندرسون بالقاهرة

فيصل الشماق، المنسوجات، صـ 54

الفريد لوكس، المواد والصناعات عند القدماء، صـ 12

عمر عبد الكريم، محاضرات في تكنولوجيا صناعة المنسوجات، الفرقة الرابعة / كلية الآثار 2003

محمد احمد سلطان، الخامات النسجية، منشأة المعارف بالإسكندرية، صـ33

محمد عبد الله علي معروف، استخدام التقنيات العلمية الحديثة في دراسة وصيانة السجاد الأثري، رسالة دكتوراه

Nicholas Purdon, carpet and textile platterns